شاهد القرن الأديب موسى الأحمدي نويوات في ذكراه - حياته وآثاره

نجيب بن خيرة*

تمهيد:

إن شاهد القرن الأديب موسى الأحمدي نويوات خانه الصمت، وسكت عنه الأدباء في قسوة.. غافلين أدبه الحي، وفنه الرفيع،..!

لم يحظ الأحمدي في حياته بعمل أدبي واحد منشور يكشف أدبه شعرا ونثرا، اللهم إلا ما نشره الكاتب السوري أحمد دوغان في كتابه " شخصيات من الأدب الجزائري الحديث " تحت عنوان ــ الأديب المحقق موسى الأحمدي نويوات ــ جاءت لمحة مختصرة في سبع صفحات من الحجم الصغير، لم توفه حقه من الدراسة والتناول. أوما نشره الدكتور يحي بوعزيز في كتابه " أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة " وهي صفحات أرسلها الشيخ للمؤلف بخط يده.

كما لم يحظ الأديب الأحمدي إلا ببعض الحوارات والتحقيقات الصحفية التي أجراها بعض من الصحفيين الشباب، ونشرت في أغلبها كلاما مكرورا، لايغني عن الدراسات الجادة التي ترسم للأحمدي الكاتب، والشاعر، والقاص، والعروضي، والفرضي. صورة تامة واضحة منسجمة الأضواء والظلال..

والحقيقة أننا نحن العرب عرفنا بخصلة

---

* أستاذ التاريخ الإسلامي، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة.

غريبة..نتنكر لرجالنا الأفذاذ في حياتهم، حتى إذا ماتوا ذرفنا عليهم الدمع السخين..!

نعم: بمثل هذا العقوق قوبل هذا الرجل الكبير.....!

❁❁❁

إن الحياة السياسية والأدبية في النصف الأول من القرن العشرين، فترة عاشها الأحمدي وكان لها أثرها البالغ في كيان الجزائر السياسي ونهضتها الفكرية والأدبية بعد ذلك..تلك النهضة الأدبية التي كان من فروعها النهضة الشعرية والتي نستطيع أن نعد الأديب الأحمدي من روادها..فقد وضع كتابه " المتوسط الكافي " في تلك الفترة ليحمل الشعراء على الموزون المقفى..فانتظم الشعر، وترقرقت قوافيه، وحسن سبكه عند كثير من شعراء عصر النهضة، واستطاع الأحمدي أن يرفع الشعر من الأعتاب إلى الآفاق.

ولما كان من غير الممكن عرض نتاج أي أديب بمعزل عن سيرته فإنني أفردت القسم الأول من هذا البحث لحياة الأديب الراحل، جمعتها بعد أن كانت تفاريق في المجلات والصحف، بالإضافة إلى ما خصني به الشيخ من الوثائق، كما استعنت أيضا بما كتبه نجلاه سعادة الدكتور المختار نويوات ــ أستاذ الأدب المقارن بكلية الآداب ــ جامعة عنابة ــ، وسعادة السفير سعد الدين نويوات، في مقاليهما عن والدهما الراحل.

أما القسم الثاني فقد خصصته لآثاره، متعرضا لكل تأليف بتعريف موجز، ومنهجه فيه، وما قيل عنه...مما استطعت الحصول عليه من الصحف التي كان ينشر بها، أومما زودني به في حياته ــ رحمه الله ــ.

ولست أزعم أني قد رويت عن الأحمدي كل ما يجب أن يروى..ولا قلت

كل ما يجب أن يقال..فحياة رجل عاش قرنا من الزمان حافلة بالبذل والعطاء..أعمق من أن يخطها قلم، وأوسع من أن يحيط بها كلام.

هذا..ورجائي الكبير من وراء هذا العمل أن أضع بين يدي القارئ الكريم جانبا من تراثنا الفكري كي لا يغطيه النسيان، ويقبر في الرفوف، آملا أن أكون بذلك قد وفرت المادة الأولية للدارسين والنقاد المتخصصين، وسهلت لهم طريق الكشف عن أحد رواد النهضة العلمية في بلادنا، وأحد رموز جمعية العلماء المسلمين القلائل الذين خلدوا تراثا مكتوبا..

ولعله من أضعف الإيمان أن يرفع اسم الأديب الأحمدي على واجهة مؤسسة تربوية، أودار للثقافة، أوتدرج نصوص من أدبه في المناهج التربوية، أوتحمل اسمه لافتة على شارع جانبي في بلده ــ الجزائر ــ التي قال فيها الكثير، وقدم لها الكثير، ووقف حياته كلها حارسا أمينا على لغة الضاد، وتراثها الضخم، وأدبها الرفيع.

فكفانا احتقارا لرجالاتنا، والتنكر لتراثهم، واطراح فكرهم، وإغفال مآثرهم. وأقسم..! لوأن الأحمدي عاش تحت سماء القاهرة أودمشق أوبغداد..لكان له شأن أفضل..!

فله الذكرى باقية في أمة مفجوعة فيه، باكية عليه، تفقد جثمانه، ولا تفقد ذكره، فحياته ــ رحمه الله ــ صورة فذة جمعت أجزاؤها كل جلال النبوغ الفطري، والتحصيل الذكي الدؤوب، والعصامية التي استعلت على قسوة المنشأ، وباركتها عناية الله..حتى استوت علما نافعا، وأدبا واسعا، يطول بقاؤه، ويكتب له الخلود، ولكل أجل كتاب..

1ــ حياته:

1- نسبه، ولادته:

هوموسى بن محمد بن المليانى بن

السنوي بن عبد الله بن عمر بن أحمد الأحمدي بن محمد بن سعيد بن حمادة بن ابراهيم بن عيسى بن يحي [1] بن لخضر بن صلة.ولد في 15 يناير من سنة 1900م وذلك بمنطقة أولاد عدي لقبالة بضواحي المسيلة، ويذكر الشيخ: أنه ولد بعد ست سنوات من يوم أن قطعت والدته الولادة، وقبل ولادته حدثت لأمه قصة يرويها فيقول:"إن امرأتين من أولاد سيدي حملة تجولان الأحياء ولما جاءتا إلى منزل الوالدة قالتا لها: قدمي للحمارتين التبن والشعير رزقك الله بولد، فضحكت الوالدة، فقالتا لها: مم تضحكين؟ فقالت: يا ضيفتي العزيزتين إني عجوز توقفت عن الولادة منذ ست سنوات .فقالت لها المرأتان: نسأل الله الوهاب الرزاق أن يرزقك ولدا ويجيئك عالما أوظالما .فكنت أنا المرزوق.. ! ".

فهوأصغر إخوته الأحد عشر، ولدوا كلهم في القرن التاسع عشر.

2 – نشأته وتعليمه:

لم ترد الأقدار أن ينشأ هذا الطفل كإخوته راعي إبل أوشاة، أوفالحا لقطعة أرض قليل عطاؤها..بل شاءت الأقدار أن تنتقل الأسرة التي كانت تسكن الخيام وتتتبع مواقع الغيث ومنابت الكلأ إلى موضع يسمى (السعدة) بالقرب من "سيدي عقبة"، وهناك يتعلم الطفل القراءة والكتابة، ويتابع حفظ القرآن بجامع عقبة بن نافع ــ رضي الله عنه.

وبعد وقت ليس بكثير غادرت أسرته سيدي عقبة، وترك الطفل الذي نذره والده للعلم عند رجل محسن يسمى بـ "العلمي" تكفل بإيوائه، والقيام بتعليمه على نفقته.

---

(1) ــ ذكر لي الشيخ ــ رحمه الله ــ أن نسبه يلتقي مع نسب الشيخ البشير الإبراهيمي ــ رحمه الله ــ في جده (يحي)، وقال:أخذت هذا النسب عن والدي المولود حوالي سنة 1830م.

وما أن أصبح الصبي يفرق بين الحروف، ويصوغ الجمل طاوعته نفسه أن يكتب إلى أهله رسالة خربش حروفها، ورصف كلماتها كيفما اتفق..وأرسلها إلى أهله. يقول الشيخ:"ولما وصلت إلى والدي ركب فرسا وراح يجوب القرية يبحث عمن يقرأ له تلك الرسالة، فلم يفهم أي قارئ ما كتبت فيها..وعاد والدي إلى المنزل مسرورا وقال لوالدتي: إن ابننا صار طالبا ممتازا، لقد عجز " الطلبة " أن يفهموا ما كتب لأنهم دونه في الفهم!!".

وهذه الحادثة تركت في نفس الطفل أثرا بالغا شجعه على مواصلة الكتابة التي بقي مواضبا عليها إلى آخر أيام من حياته.

مكث التلميذ في سيدي عقبة سنتين ثم عاد إلى الحضنة فمكث بها مدة ثم ذهب إلى برج الغدير " ليتم حفظ القرآن، ويتابع دراسة الفقه والتوحيد والنحوعلى يد الشيخ محمد أرزقي بزاوية الحاج السعيد بن الأطرش.ويصف الشيخ الأحمدي شيخ الزاوية الحاج السعيد بن الأطرش فيقول:" كان عالما صالحا متعبدا، ذاكرا لله قليلا من الليل ما يهجع، وقد امتزجت كلمة (لاإله إلا الله) مع لحمه ودمه،وصار لا يستطيع منع لسانه من ذكرها، حتى وهونائم غائب عن الشعور تسمعه يلهج بها لسانه .حج ست حجات، وقرأ في طريقه إلى الأماكن المقدسة على الشيخ " عليش" مفتي الديار المصرية،وقد جلب

من مصر مكتبة ضخمة فيها من جميع الفنون، وألف كتابا في القراءات طبع بمصر وفيه قلت قصيدة لا أذكر منها إلا قولي:

وزار شفيع الخلق ستا ولو بقت

له فسحة في العمر يمه عشرا

توفي رحمه الله بعد أن صلى العشاء ليلة الجمعة ليلة المولد النبوي على الساعة الثانية ليلا سنة 1336هـ،1917م.".

إنقطع الأحمدي عن الدراسة ونقل قسرا كما نقل آلاف الجزائريين إلى جبهات القتال مع الجيش الفرنسي على أرض الألزاس واللورين في ألمانيا، ويتذكر أيام خدمته العسكرية فيها جيدا وعلاقاته مع الجنود وأخلاقه بينهم فيقول:" لقد كانوا ينادونني (مارابوا) ــ أي رجل الدين ــ وحسبوني قديسا، لأنني أؤدي الصلاة في وقتها حتى صلاة الفجر، ولذلك كلفوني بحراسة مكتب المؤن المالية، وكنت حارسا للمسؤول المكلف. وفي مرة من المرات أسقط المسؤول كيسا من المال ومفاتيح الخزينة وعندما وجدهما أرجعتها له فاندهش وحار، وفي ليلة عاد مع زملائه بعد سهرتهم، وكنت في سريري نائما، فلما عرف أصحابه الفرنسيون أنني عربي استغربوا وهروه، كيف ينام في غرفته عربي فرد عليهم المسؤول:إنه وفي وطيب وقديس، لقد وجد مرة كيس المال والمفاتيح و لم يأخذ شيئا!".

ومن جبال الألزاس واللورين عاد الأحمدي إلى بلده ليعاوده شوقه إلى طلب العلم، وحنينه إلى القلم والكتاب.فانتقل إلى مدينة قسنطينة وكانت يومئذ منارة للعلم ومهجرا لطلابه، ليتربع في درس رائد النهضة الجزائرية الإمام عبد الحميد بن باديس ــ رحمه الله ــ فتابع دروسه بالجامع الأخضر، وسيدي قموش.مدة سنتين (1345ه1347هـ،1926م ــ 1928م) في ظروف قاسية، وشظف من العيش، ويروي بعض ما حدث له فيها فيقول:" نفذ مرة ما عندي من الدراهم فبدا لي أن أعود إلى المنزل، فاستشرت الشيخ بن باديس في ذلك، فقال لي لماذا؟ قلت: نفد ما لدي من المصروف، فاستدعى طالبا من ناحية باتنة يسمى"الشريف " وكان مكلفا بالإشراف على الطلبة وقال له: الخبزة الباقية من (24)خبزة أعطها لهذا الطالب، وقال لي

المشـــرف كلها مختفيا وحذار أن يسمع طالـــب مـــن الطلبة أننا أعطيناك خبزة، وكـــان عدد الطلبة الفقراء الذين حظوا بهـــذه الخبزة (23) طالبا وأنا تمام الأربعة والعشرين، وكنا نذهب إلى المخبزة وكان لا يعـــرف منا الواحد الآخر، وأطلعت زميـــلي أحمد بن مخلوف على ما حظيت بـــه، وكنـــت أشركه معي في جزء من الخـــبزة، وبدأت حالتي الصحية تتحسن، وظهـــرت النضـــارة على وجهي، وراح بعض الطلبة يسأل عن سبب هذا التبدل المفاجئ و لم يهتدوا إلى ما أخفيته عنهم!".

3 – رحلته إلى الزيتونة:

لما رأى الشيخ عبد الحميد بن باديس من ألمعية الطالب الأحمدي وذكائه الوقاد وبديهـــته الحاضرة، وذاكرته المسعفة ما يجعلـــه قميـــنا بمواصلة الدرس، ومتابعة التحصـــيل وجهه إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة، وزوده بكتاب إلى صديقه الشـــيخ "معاويـــة التميمي" فلقيه بالبشر والحفاوة، ورعاه في دراسته،وأشرف عليه إشرافا علميا وأدبيا.

كـــان جـــامع الزيـــتونة في تونـــس صنوالأزهر في مصر، وصنوجامع النجف في العراق فهودار للعلم ومأوى لطلابه في ذلـــك العهـــد الزاهر، يشتهر بأكثر من شخصية علمية وأدبية تشد الرحال إليها مـــن الأقاصـــي، وكانت أمهات الكتب العربـــية هـــي المورد الذي تلتف حوله الحلقـــات، فكـــان للجامع التفاتة وفية للـــتاريخ وللتراث العربيين في أقطار ثلاثة تعاني من الدخيل الغازي، والعدوالمشترك، كمـــا كـــان الجامع همزة وصل للنهضة الأدبـــية الحديـــثة في المشرق، والدعوة الإصلاحية المتجاوبة في أرجائه.

قضـــى الأحمـــدي في الزيـــتونة أربع ســـنوات يأوي إلى سكنى الطلاب ليلا وفي الـــنهار يـــتخير مـــن حلقات العلم أفـــيدها، فطفـــق يتنقل بينها كما تنتقل الـــنحل بين الروض، وأخذ يتهافت على

أضـــواء النوابغ من علماء الزيتونة،فتشع أرواحهـــم في قلبه وتضيىء معارفهم في فكـــره..وكـــان معه حينذاك من الطلبة الجزائـــريين: الصديق سعدي، وصالح بن عتـــيق، ورمضـــان حمود، وفرحات بن الدراجي، ومصطفى بن حلوش، وبلقاسم الزغداني، ومحمد الطاهر الجيجلي، وأحمد بـــن مخلـــوف الـــبركاتي،ومحمد الحاج الســـحمدي، والطاهر بن زقوط وغيرهم كثير.

إنكب الطالب الأحمدي على المطالعة في مكتـــبات الخلدونـــية والعبدلـــية والعطـــارين..ويـــنهل من مختلف العلوم والفنون لاسيما علم العروض الذي أخذ بلـــبه وهوينفـــث أولى أبياته في الشوق والحنين، فقد أضنته الغربة، وأمضه الجوع والحـــرمان، وسدت عليه منافذ الرزق، وبات لا يجد قوت يومه، فالتزر القليل من المساعدة الذي كان يأتيه من وراء الحدود أوقفته الحرب العالمية الأولى التي انصبت ويلاتهـــا وانسحبت آثارها على الجزائر لأمد طويل.

ولكـــن ذلك لم يوهن من عزمه و لم يثـــنه عـــن بلوغ غايته، وتابع الدراسة صـــابرا، ومـــا انقـــادت الآمـــال إلا لصـــابر..وهووإن لم يرض بوضعه إلا أنه كان مطمئنا في قرارة نفسه وهويقتفي في حالـــه تلـــك حال أولئك الفطاحل من علماء الإسلام الأفذاذ..فالخليل بن أحمد كان يسكن خصا من أخصاص بغداد ـــ وهـــي خيمة من قصب ـــ لا يجد فلسا واحدا، والشيخ أبوحامد الإسفراييني ـــ شـــيخ الإسلام والمسلمين قاطبة والذي كـــان يحضر مجلسه ثلاثمائة فقيه ـــ كان يشـــتغل حارســـا بالليل لبيوت الناس، ويطالع على ضوء فانوس الحرس، ومحمد بن يحي الزبيدي الذي تزيد مصنفاته على المائة كان يضع نواة في حلقه ليتعلل بها، وشيخ الشافعية أبوالطيب الطبري كان له ولأخـــيه جـــبة واحـــدة كان إذا لبسها

أحدهما بقي الآخر في البيت، وإذا أراد غسلها مكثا فيه معا، وعبد الوهاب بن علي المالكي ضاق به العيش في بغداد فهجرها وقد قال لألوف مودعيه لووجدت بين ظهرانيكم رغيفين في كل غداة ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية..

ولكن طالبنا الأحمدي وجد في تونس كل يوم رغيفا كان يقتسمه مع رفيق له فقنع بما قسم الله له، وشكره على نعمائه.

4 – شيوخه:

تحلق الأحمدي على أشهر مشايخ الزيتونة العامر أمثال:الشيخ الحاج أحمد العياري، والشيخ الزغواني، والشيخ المختار بن محمود، والشيخ محمد اللقاني الجائري، والشيخ عثمان بن الخوجة، والشيخ الطيب سيالة، والشيخ عثمان الكعاك، والشيخ عثمان بن المكي التوزري الذي يصفه الأحمدي:"بأنه كان رجلا صالحا وكان يقول لنا نحن تلامذته: كنت أرى رسول الله ﷺ كل ليلة في المنام فصرت أراه من شؤمكم ثلاث مرات في الأسبوع فقط!."ويقول:" جلس معنا مرة طالب في حلقة الدرس فطرده فقلت له لما منعته من استماع الدرس؟ فقال: لأنه سيء الأخلاق، قلت هل تعرفه؟ قال: لا أعرفه، فقلت: وكيف عرفت أنه سيء الأخلاق؟ وأنت لا تعرفه؟ قال: إن الشخص إذا كان ذا أخلاق حسنة شممت ريحا شذية، وإن كانت أخلاقه سيئة شممت ريحا كريهة.."."وكان يعطف علي لفقري، وقد صححت معه شواهد كتاب (قطر الندى لابن هشام) فقال لي: تأخذ المخطوطة أم المطبوعة؟ ثم ناولني الأوراق المطبوعة وقال: الأصل للأصل والفرع للفرع، ومكثنا في تونس أربع سنوات، وكنت أنا وزميلي نستشيره عند إتمام الدراسة ونقول له: إننا لا نعود في السنة الآتية فيقول لنا: ستعودان وهكذا يقول لنا في السنوات الثلاثة حينما نستشيره،

وفي السنة الرابعة التي توفي فيها قال لنا: عندما استشرناه: روحا تصحبكم السلامة!".

5 – العودة إلى الجزائر:

عاد الأحمدي من تونس **سنة 1348 هـ، 1930م** بعدما تخرج بشهادة " التطويع العالمية " وهي نهاية المطاف للدراسة في جامع الزيتونة، وكان حاملوا هذه الشهادة في ذلك الوقت المبكر آحادا، يستقبلون في أوبتهم إلى الجزائر استقبال الفاتحين، فالجزائر لم تكن تتوسم مخرجا من مأساتها إلا في ملامح العائدين من ديار العلم يتأبطون من الأسلحة الفكرية ما لا قدرة للجزائر على صنعه، ويفتحون في وجه آمالها العريضة آفاقا أرحب.

عاد خريج الزيتونة وقد حصل من العلوم الشرعية من أصول وفقه وتوحيد وتفسير، كما درس النحوومبادئ المنطق وعلوم البلاغة والسيرة النبيوية..وكانت هذه الباقة من العلوم هي المهاد الذي قام عليه علمه والأساس الذي ارتكز عليه أدبه.[1]

وقد أجيز الأحمدي من شيخه عثمان بن المكي التوزري جريا على عادة ذاك الزمن في إعطاء إجازات التأهل والتحصيل.

ولكن عودة الأحمدي إلى وطنه كانت عودة اضطرار، فقد شاءت الأقدار أن يتوفى والده وهوأحوج ما يكون إليه، فانقطعت عنه كل إعانة مادية، ولقي من العنت الشديد ما جعله يرجع قافلا إلى بلده، وكله حسرة على عدم مواصلته الدرس والتحصيل في الزيتونة.

ومن المنطقة التي انطلق منها لأول مرة كانت البداية، وفي أذنه وصية الشيخ عبد الحميد بن باديس:" حصل ما استطعت

---

(1) ــ نجيب بن خيرة: مقتطفات من سيرة الأحمدي، جريدة النصر، 20ماي 1998م

من العلم، وتعمق فيه فإنه تراث الإنسانية، ولا تغرنك الشهادات والدرجات فتلك من اهتمامات الوظيفة، ولا مطمع لك فيها، أما ربك وشعبك فإنهما ينظران إلى أعمالك وإنتاجك"، وتلا عليه قوله تعالى:{ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}[1].

وعى الأحمدي النصيحة وراح يشق طريقه وسط أمواج هوج من الأفهام السقيمة لدين لابسته البدع، وخالطته الخرافة، وداخلته الشعوذة، ونطق باسمه قصار الباع في فقهه، ممن شايعوا الدخيل، وبايعوا المستعمر، وباعوا الوطن بكل ما فيه من غال ونفيس..

كان الأحمدي يعلم أن مجتمعا على هذه الحال ليس من السهل تغييره، لابد من العزم الصليب، والفقه الواسع، والشجاعة الدافعة،حتى يصد التيار الجارف، ويغالب الموج العاتي.

وبرغبة أكيدة في مواصلة دراسته انطلق الأحمدي و لم يكن له من الوسائل آنذاك إلا بعض الكتب مما كان مقررا في الدراسات الزيتونية، ومما اقتناه قبل ذهابه إلى تونس في طبعات قديمة تضني الفكر وتجهد القارئ.[2]

---

(1) ــ سورة التوبة: الآية 106.

(2) ــ منها شروح ألفية بن مالك كالمكودي وبن عقيل والأشموني.

ــ وبعض كتب ابن هشام كالقطر والمغني شذور الذهب والتصريح للأزهري.

ــ وشروح خليل(الدردير والزرقاني والخرشي).

ــ وبعض شروح رسالة ابن أبي زيد القيرواني وابن عاشر والعاصمية.

ــ وبعض كتب الأصول كشروح جمع الجوامع للسبكي، وكالمستصفى للغزالي.

ــ وبعض كتب الفرائض كشروح الرحبية والدرة، وكتاب الترتيب وكان معجبا به.

ــ وبعض كتب المنطق كـ (إيساغوجي

وبهذه الكتب وبغيرها مما لا يتجاوز السبعين أوالثمانين عنوانا بدأ مسيرته العلمية، ووطن نفسه على التحصيل، وعلى توسيع أفقه الثقافي وعلى التأليف.

أما العمل فكان ميدانه مثلث:(البرج ـ المسيلة ـ سطيف)، حيث تتركز فئة من المتعلمين قصارى فهمها من دين الله أن القرآن محفوظات تردد، وآيه البينات تمائم تعلق للرقى، وتقرأ على الأموات للبركة..والذكر عندهم هوالرقص والزمر والطواف حول قبور الأشياخ، وسوق النذور، والتمرغ على الأعتاب، والاكتحال بتراب القوم..!، وفئة أخرى متفقهة متزمتة جامدة، ما تزال عندهم الأرض مسطحة لا تدور، وهي محمولة على قرن ثور، يحرمون تعليم البنت، ولا يقبلون شهادة أحد من مدينة تباع فيها الخمر، أحد أوليائهم لا يصلي لأنه إذا صلى تجاوز رأسه مكة! وآخر يصلي على رجل واحدة تقربا إلى الله وزلفى..!

ولمطاردة هذا الإنحراف، وفضح سوءته كان لابد على الخريج الجديد أن ينحت منافذ يتسلل منها الفهم الصحيح بالدين، وتنساب عبرها إلى الأفهام حقائق الإسلام، ولا يتاح هذا إلا لذي صبر وأناة، وبعون من الله وتوفيق.

6 – في ميدان التربية والتعليم:

راح الأحمدي بين عامي (**1348هـ ـ 1930م، 1355هـ ـ 1937م**) يلقي خطب الوعظ والإرشاد في المساجد بالقرى المجاورة لقلعة بني حماد، ولبرج

للأهري، والسلم للأخضري).

ـ شروح السعد: سعد الدين التفتزاني (وبه سمى ولده سعد الدين).

ـ والمصباح المنير للفيومي، ومختار الصحاح للإمام الرزي (وبه سمى ابنه الأكبر المختار).

ـ ومجموع المتون وغيره من المصنفات المتداولة في الأزهر والزيتونة والقرويين، ومن أمهات الكتب كالعمدة لابن رشيق، والعقد الفريد لابن عبد ربه، في طبعات قديمة غير محققة.

الغديـــر، وسرت أنباؤه مسرى النور في الظلام..فانهال عليه طلاب العلم من كل حـــدب وصـــوب، من السهول والجبال والقـــرى والمداشر يرتوون من نبعه الثر، ويعبون من معينه الذي لا ينضب.

فـــدرس للطـــلاب الناشـــئة: الفقه والحساب والفرائض والنحو..وكان الناس في ذلك العهد لا يقبلون تدريس الفقه إلا بمختصر خليل وبشراحه المعروفين بالمغرب العـــربي، أما في الحساب والفرائض فقد جعل عمدته في تدريسها ثلاثة كتب هي:

1 ـــ " بغـــية الباحـــث عـــن جمل المـــوارث" لأبي عبد الله الرحبي الشافعي (ت577هـــــ)، وهي منظومة مشهورة عرفـــت فـــيما بعد بالرحبية أوالأرجوزة الرحبية، شرحها كثير من العلماء العرب ونقلت إلى الفرنسية والإنجليزية في أواخر القرن التاسع عشر.

2 ـــ " الـــدرة البيضاء " لعبد الرحمن الأخضـــري الـــبكري الجزائري (ت983 هـــ)صـــاحب الجوهـــر المكنون، [1] والسلم،[2] والسراج.[3]

3 ـــ "لـــباب الفرائض"لمحمد الصادق الشطي من أساتذة جامع الزيتونة.

وفي ســـنة 1937م طلـــب الشـــيخ عبدالحمـــيد بن باديس من الأحمدي أن ينـــتقل إلى مدينـــة برج بوعريرج ليعلم بمدرسة التهذيب، ولهذا الطلب مغزاه لأن المدرســـة لم تكـــن تحت إشراف جمعية العـــلماء، فغادر الأحمدي الريف وحياة العـــزلة العلمـــية لينتقل إلى المدينة حيث جمهور المستمعين أوسع، ووسائل المعرفة أكثر، ووسائل الإتصال أوفر.

---

(1) ـــ الجوهـــر المكـــنون في صـــدف الثلاثة فنون:(المعاني والبيان والبديع) نظم فيه تلخيص المفتاح.

(2) ـــ السلم المرونق:نظم فيه إيساغوجي كتاب المنطق للأبهري.

(3) ـــ نظم السراج:في علم الفلك.

وهكذا سمح هذا التنقل لأديبنا الأحمدي أن تتنوع اهتماماته وتتغير عنده مناهج التدريس وطرقه وأدواته،فاشتغل بمدرسة التهذيب إلى سنة 1361هـ ـ 1941م بتدريس مبادئ اللغة العربية تعليما عصريا أوشبه عصري، وكون بها مكتبة تربوعلى الخمسة آلاف مجلد في مختلف الفنون، وكان لأمهات الكتب الحظ الأوفر منها، ولما تقاعد نقلت هذه المكتبة الثمينة إلى مدرسة المعلمين بمدينة سطيف.

8 – شخصيته وشمائله:

لما كانت صلتي بالشيخ الأحمدي واشجة قوية فإني قد عرفت من كريم خلاله، ونبل خصاله الشيء الكثير، ولكني أذكر طرفا من ذلك فأقول:

كان ـ رحمه الله ـ متواضعا لا يزدهيه غرور، خفيض الجناح لمن يعرف ولمن لا يعرف، حريصا على أن تظل سمعته في طي الخفاء، ولكن خمول ذكره لا يعني قلة شأنه فقد قيل:

ليس الخمول بعار
فليلة القدر تخفى

عرف عند كل الذين لابسوه وعايشوه بأنه خفيف الروح، جميل الشمائل، حاضر النكتة، ناصع الظرف،كيس العقل، يمزج في مجلسه بين العلم الجاد الوقور، والدعابة الحلوة الخفيفة.

لست ترى الأحمدي وهوفي سنه المتقدمة إلا دائم السرور، حسن المظهر، نظيف الثياب إلى حد الأناقة ،ينم بنفس ذاهبة في الأصالة والتحضر...يحفظ الجميل لأصحابه، ويرعى الود لأحبابه وخلصائه، يكاتبهم، ويرد على رسائلهم فور وصولها إليه، ولا ينسى أن يختم رسالته دوما بقوله:"والسلام عليكم معادا من الذي يحبكم، ويفخر بكم ويدعولكم بالنجاح والتوفيق، عوض والدكم: موسى الأحمدي نويوات"...فضلا عما يجود به مما فتح الله به عليه من رائق الشعر، وجيد

الكـــلم، فيكتـــب القصيدة بآلته الراقنة، ويضـــعها في إطار، ويبعث بها إلى أحبابه ناصـــحا إياهم أن يحتفظوا بها ذكرى من جدهـــم الأحمدي.!!...بل يحمل نفسه راضـــيا ـــ وهوالشيخ الكبير ـــ ليسافر إليهم ويقطع المسافات الطوال متنقلا من بلـــد لآخر بين أحبابه وأقربائه مهنئا في فرح، أومعزيا في مصاب.

في زياراتـــه المتكررة لي أولإخواني ما عرفنا الشيخ الأحمدي إلا رجلا مضبوطا في مواعيده، مشغولا طول وقته،ذا نفس طلعـــة، حببت إليه المعرفة في فروع من العلم مختلفة.فكان كثيرا ما يطلب الكتاب بالليل عندما يفارق جفنه النوم،ويظل معه إلى ســـــاعات مـــــتأخرة يســـــتمتع بقراءتة...ومن العجيب أنه ـــ وهوالذي شـــارف القرن من عمره ـــ لا يزعج من معـــه لا في نومـــه ولا في قيامه، ولا في مأكلـــه..وهذا من فضل الله على العلماء يحفظ عليهم هيبتهم وقدرهم إلى آخر يوم من حياتهم.

ومـــن شرف خصاله، وحميد مناقبه، زهـــده في الدنـــيا، وقلة اكتراثه بحطامها الزائل.وأذكر مرة أنه أخبرني: أن مبلغا من المـــال قدرة 70 ألف دينار جزائري سرق مـــنه، فقال لي:لقد فرحت بذلك، ويقيني أن يأخذ الله لي من حسنات السارق يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..!

كان الأحمدي كثيرا ما يتودد إليه علية القوم، ووجهاء البلدة ـــ ممن يحبون إكرام العلماء وخدمتهم ـــ فيطلبون منه زيارتهم في بـــيوتهم، فيجيـــب دعوتهم في تواضع جـــم، وود غير مدخول..ينشر في مجلسه الأنـــس والظرف بحديثه اللبق، وألفاظه المنـــتقاة، وفكاهـــته المـــرحة، فيتعلق به سامعوه، ويزداد حبهم له، ويطلبون منه تكرار الزيارة من جديد..

يجـــالس العوام من جيرانه وأصحاب الحـــي الذي يسكنه، وهوالذي كان بيته

منتجع الطلاب والأدباء والباحثين وكبار المسؤولين والوزراء..فطالما سدت الشوارع المؤدية إلى بيته لأن وزيرا من الوزراء يترل ضيفا عنده ويجالسه الساعات الطوال.ورغم ذلك لا يجد الغرور ولا العجب إلى نفسه سبيلا.

إتصل به مرة أحد القضاة ليتوسط له عند وزير العدل ليتم نقله من منصبه البعيد عن مقر سكناه إلى منصب قريب، وكذلك أيضا بالنسبة لزوجته القاضية،فتوسط لهما، وتم لهما ما أرادا على جناح السرعة، قال: فقلت في نفسي: " أنا الذي كان أهل دشرتي يعيرونني بقولهم "يابياع الملح" ــ لأني كنت أبيع الملح المحمل على الجمال ــ أصبحت أتوسط للقضاة عند الوزراء.سبحان الله ! من تواضع لله رفعه "

10 ــ خاتمة المطاف:

سارت الأيام مسرعة بالشيخ الأحمدي فإذا حياته منتهية كما كانت منذ بدأت، حياة نضال وكفاح، وعلم وتعليم.. بقي إلى آخر يوم من عمره يدرس للطلاب في حلقة علمية ببيته:علم الفرائض، والنحو، والعروض..كما كان يعنى بالأندية والملتقيات والمهرجانات الثقافية التي يدعى إليها..

لم ينصف الشيخ الأحمدي في عمله الرسمي على الرغم من دأبه وعطائه، ولكن على إثر إحالته على التقاعد كرمه في حياته تلاميذه وأصدقاؤه ومحبوه في مناسبات عديدة، وكان آخرها تكريمه في الملتقى الوطني لاتحاد الكتاب الجزائريين بمدينة (سطيف).

ظل الأحمدي طيلة العقدين الأخيرين من حياته ملازما بيته الجميل بحي 12 هكتار بمدينة البرج، يقضي يومه كله مطالعا لكتاب، أوناظما لقصيدة، أوكاتبا لرسالة، أومجيبا عن فتوى، بوصفه رئيسا للمجلس العلمي لنظارة الشؤون

الدينية بالولاية. ومتصلا عبر الهاتف متابعا لطبع كتاب، فقد قعدت به موارده المالية عن طبع كتبه على نفقته الخاصة.فلم يكن للشيخ الأحمدي غير راتب وظيفته موردا يسترزق منه، ويكفل به مطالب العيش الرتيب..

وظل على هذه الحال إلى أن أصيب بمرض أقعده الفراش مدة شهر ونصف نقل على إثره إلى المستشفى المركزي لمدينة البرج، وبه فاضت روحه إلى بارئها عشية يوم الأربعاء 17فيفري 1999م،وله من العمر قرن وسبعة عشر يوما.

وفقد الأدب بفقده أديبا من ألمع أدباء الطليعة في هذا البلد، له جهاده الطويل، وأسلوبه الجميل، وشعره الرقيق، وأثره الباقي .

فرحم الله الأحمدي، وجزاه على ما قدم أحسن الجزاء، وعزى عنه أهل الأدب والدين خير العزاء.

2– آثاره:

1 ــ كتاب (المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي) :

يؤكد ابن خلكان في (وفيات الأعيان):[1]" أن الخليل بن أحمد الفراهيدي دعا ربه أن يعرف علما لم يسبق إليه، ولا يؤخذ إلا عنه وكان ذلك في مكة، فلما رجع من حجه فتح عليه بعلم العروض".[2]

وأديبنا الأحمدي من الذين فتح الله عليهم في علم العروض، وفضت لهم مغاليقه، وأصبحت له قدم راسخة فيه، فاشتهر به في الأوساط العلمية الجامعية وغير الجامعية،والعجيب أنه لم يأخذ مبادئ العروض عن أحد كائنا من كان ولا جلس بين يدي معلم ليحذقه ولويوما

---

(1) ــ وفيات الأعيان: تحقيق محي الدين عبد الحميد،القاهرة:مكتبة النهضة العربية،:15/2

(2) ــ سمي هذا العلم بالعروض وهوأحد أسماء مكة تيمنا بها.

واحدا. ولما سئل الشيخ الأحمدي عن المدة التي استغرقها في تأليف الكتاب قال:"إن إدارة المؤسسة التي كنت أديرها، وتكاليف متطلبات الأسرة لم يتركا لي وقتا كافيا لإنجازه في الوقت الذي أريده، ورغم ذلك فقد شغل تأليفه من الوقت كل أوقات فراغي من الجمع والعطلة الصيفية مدة عامين وما يقرب من تسعة أشهر لكتابته بالراقنة، وضبط أبياته، وكان العمل فيه مستمرا من صلاة الصبح إلى ما بعد العشاء في تلك المدة كلها ".[1]

ألف الأحمدي هذا السفر الجليل وناقش فيه القدماء والمحدثين على السواء حتى المؤصلين لهذا العلم! فعل ذلك مع الشريف الغرناطي (ت1230هـ)شارح (مقصورة حازم)[2]، و(الخزرجية) في العروض، ومع الدسوقي (محمد بن أحمد ت1230هـ)في حاشيته على شرح التفتازاني لكتاب التلخيص، تعقبه في خمسة مواضع بأدلة مأخوذة من فن العروض ومن الشعر.

وقد نشر الدراسات العروضية النقدية في المجلات الشرقية التي رد فيها على الأزهريين الذين تعقبوا الشيخ الطاهر بن عاشور في شرحه لديوان بشار بن برد، وقد بين في هذه الدراسة ما لشارح الديوان وما عليه وما أصاب فيه أساتذة الأزهر وما جانبهم فيه الصواب.

---

(1) ــ جريدة (المساء):حوار أحمد بن السايح، 8ديسمبر1986م.ويذكر الشيخ في حوار آخر:"أنه ألفه في 65 يوما" أنظر: جريدة:(الشروق الثقافي)، تحقيق فاطمة رحماني، 19ماي 1994م.والظاهر أنه أعاد تأليفه بعد مصادرة السلطات الفرنسية له في هذه المدة.

(2) ــ حازم بن محمد بن السن، الأنصاري القرطاجني ناظم "المقصورة " وهي أرجوزة تبلغ 1006أبيات، مدح بها المستنصر الحفصي، شرحها كثيرون ومنهم الشريف الغرناطي، سمى شرحه " رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة" وهوالوحيد الذي وصلنا.

والذي يميز كتاب " المتوسط الكافي " أن المؤلف تجنب فيه الشواهد القديمة التي استشهد بها العروضيون كيف ما كانت تلك الشواهد والتي تتكرر في كل تأليف.واستشهد بشواهد منتقاة من الشعر الجزائري والمغربي والتونسي والمشرق العربي، وأتى لكل ضرب بقطع شعرية وفق اختيارها اختيارا كبيرا.وبين أصول التفاعيل وفروعها، وأعطى قاعدة لاستخراج الفروع من الأصول، ونص على الزحاف المحتوى (المستكره) الذي ينبغي للشاعر أن يتجنبه وإن كان جائزا، غير أنه لا يوجد في شعر فحول الشعراء.

وترجم الأحمدي في " المتوسط الكافي " لـ (214) شاعرا زيادة على ما اشتمل عليه الكتاب من طرائف وملح، وفيه تمارين يطلب من الطالب الإجابة عنها، وفيه ثلاثة فهارس للمحتوى، وفهرس للمصادر، وفهرس للأعلام.

وقد قرظ الشيخ مبارك الميلي الكتاب فقال:"..ذلكم الكتاب الجامع بين قواعد العلم وأفانين الأدب وطابع التجديد في العرض، وهوجمع ينم عن جد في البحث، وجودة في اختيار النقل، وعناية بالقارئ، فهوكتاب تعليم وتأديب وتربية خلق "[1].

كما بعث الأستاذ الصديق سعدي الجزائري تحية للأحمدي على تأليف كتاب " المتوسط"شاكرا له فيها جهده العظيم في زمن اضمحل فيه شأن الأدب وأقفر واديه.كتب له فيها:" هل أتاك حديث المتوسط الكافي، في علمي العروض والقوافي، إنه الباكورة الأولى لصاحبنا في عالم النشر، ولقد أحسن بإخراجه لهذا السفر يعلم فيه الناس كيف يزنون الكلم،ويزاوجون بين الكلمات لإنشاء النغمة الموسيقية واللحن المحبب إلى النفوس: فالكتاب إذا كتاب شعر

([1]) ــ المتوسط الكافي: تقريض الكتاب، ص09

وموسيقى، والأمة التي لا تتذوق الموسيقى صـــماء هيهات أن تنفذ إلى أفئدتها هداية أوتعاليم...وأن كل شيء في هذا الوجود لـــه نغـــم رتيب تسمعه النفوس المرهفة الهفهفة الشفافة تحدث لها عن سماع النغم نشـــوة فتحلم فتؤمن فإذا هي مندفعة إلى العمـــل في قوة واشتياق.إن عمل صاحبنا لعمل جليل، ومهما تكن قيمة ما أورده لشـــعراء الجزائر من شعر استشهادا على بحر أوقافية أوروي أووزن بوجه عام، فإنه قـــد أحســـن صنعا بما فعل..لذلك فإن الكتاب نفحة من الأوراس الأشم الجبار ذات طـــابعين: طـــابع إقلـــيمي، وطابع وطـــني..نحـــن مدينون للمؤلف بالشكر الجـــزيل إذ يعود الآذان على سماع أنغام جزائرية أصيلة منسجمة مطربة، والأعين على أن ترى الحياة الجزائرية.فمثل مؤلفنا كمثل نافخ الحياة في الموات، وكتابه من هذه الوجهة كتاب أنف جديد، وإن أول الغيث قطر ثم ينسكب ".[1]

وكتـــب الأديب الشاعر الشيخ أحمد سحنون في تقريظ الكتاب كلمة تنم عن إعجابـــه به، وتقديره لعمل صاحبه على جهده الحميد، وصنيعه القيم، ودهشته من جـــرأة مؤلفه على التأليف في هذا العلم الصعب فقال:

" لقد بذل مؤلفه جهدا كبيرا في ترتيبه وتنســـيقه، وضـــبط مسائله تصحيحها وإخـــراجها في أسلوب سهل جميل يدل عـــلى تطلـــع إلى الســـمو، وشوق إلى الكمـــال. ولقد حرص المؤلف على إبراز كـــتابه في حلـــة شعرية أنيقة تذود عن المطالع السأم، وتغريه بالمضي في الكتاب حـــتى النهاية.فاستورد في معرض التمثيل والاستشـــهاد كثيرا من الأبيات الشعرية الـــرائعة لطائفة من الشعراء المعاصرين في

([1]) ـــ المتوسط الكافي: ص13

الجزائر، وتونس والمغرب، منبثة في مواضع كثيرة من الكتاب، فجاء لذلك غير خال من عمل جديد مستقل، ولعل ناقدا يقول: ــ جادا أومداعبا ــ إن هذا الحرص من المؤلف إنما هوحرص على رواج بضاعته، فهي حيلة تاجر إن بدت أنها عبقرية أديب، ولكن لماذا ــ يا ترى ــ يسوغ للتاجر أن يحتال لترويج بضاعته وهي متعة أجسام فحسب ولا يسوغ أولا يحسن مثل ذلك في الأديب وبضاعته متعة الأرواح، وغذاء الأفكار؟ إن كلا من التاجر والأديب يعرض بضاعة ويرجولها رواجا وربحا، وإن اختلف نوع البضاعة، ونوع الربح.إن بضاعة التاجر ماله، وربحه ذيوع صيته، وخلود اسمه، وشتان ما بينهما.

وبعد: فإن الكتاب ــ وإن كان محاولة أولى للمؤلف ــ لا ينبوعن ذهن التلميذ ولا يستغني عنه الأديب، وإن في إقدام شبابنا على التأليف رغم جدب المكان، وجفاف الجو، وتكاليف الطبع، وصعوبات البحث عن المواد والمراجع لجرأة عجيبة، ومغامرة مدهشة،نجد أنفسنا أمامها شديدي التفاؤل بمستقبل العربية في الجزائر ".[1]

وممن قرظ كتاب (المتوسط)أيضا نجل أديبنا الأحمدي الأستاذ سعد الدين الأحمدي نويوات، وقد جاء تقريظه تحفة أدبية رائعة، جيدة السبك، رائعة النسق، رشيقة العبارة ومما قاله فيها[2]:" المتوسط الكافي...كتاب حوى من الألفاظ ما امتد لها ظل وسلطان، ومن عائلتها ما انسجم بنوها، ومن مجتمعها ارقاها طبقة، وأقواها أثرا، وفوق هذا وذاك فقد جمع من نوابغ العقول عصارتها، ومن مشاعر وأحاسيس النفس البشرية خلاصتها، امتطت الزمان وانحدرت إلينا جيلا بعد جيل، وستبقى

([1]) ــ المتوسط الكافي:ص15

([2]) ــ المصدر نفسه:ص16

مع الزمان ما طال.

فمن الناحية العلمية لم يحدثنا التاريخ العربي عن صناعة بلغت من الدقة والإحكام ما بلغته صناعة العروض، صناعة جمعت فمنعت وكانت دليلا على الفكر العربي الخلاق الوثاب، أخفاف الإبل وهي تضرب في البيد، أهازيج الحماسة في القتال، ما اختلج في صدر، وما اعتلج به قلب، صبابات الهوى وعذاب الحرمان، زغاريد الأفراح، وترانيم المآتم، كل ما انفرجت عنه شفة، وما نفثه لب: قد سلكه الخليل بن أحمد في عمود لم يخرج عن طاعته بيت، ولا وجد الشعر عنه محيدا.

وكل هذا أيضا قد فصله كتابنا [المتوسط الكافي] في أسلوب بسيط، وعرض جميل، وطريقة شيقة، ودقة متناهية في الاستقصاء، وبراعة في الاستشهاد، وطرافة في الخبر.ومن الناحية الأدبية لم يتمتع التاريخ بثروة شعرية مثلما تمتع بها على أيدي العرب، حتى ليكاد العربي يلغوفيقول شعرا، وسفي هذا الشعر مع ذرات الرمال السافية فغرب مع الفاتحين إلى أعتاب أوروبا، وشرق مع الغازين فأشرف على أسوار الصين.

والمتوسط الكافي...لا يقتصر على هذا الشعر الذي شرق وغرب، وإنما يرفده بروافد من شعر المغرب وهوشعر مجهول للكثير من قرائنا في شرقنا العربي.

ويتميز هذا النتاج إلى جانب قيمته الأدبية بأنه تعبير عن فترة تاريخية بلغ فيها الصراع أشده من أجل القومية والحرية واسترجاع السيادة، وقد كان شعراؤنا الرواد الأول تقتفى آثارهم، وتعتفى في استنهاض الهمم، وبث روح النضال والاستشهاد في النفوس، في الوقت الذي كانوا فيه هداة نشء في الكتاتيب، ودعاة إصلاح وتقويم للقواعد والعقائد،وقد سقط منهم صرعى كثير في ميادين الكفاح يوم أثمر لهم مجهود، فاحترقوا بنار

الوطنية التي أشعلوها.

وبعد فالمتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي بقدر ما هوكتاب علم لمن يريد دراسة هذا الفن هوأيضا مرجع لمن يريد الاستزادة منه، واستقصاء خصائصه، والإلمام بخفاياه ودقائقه، وكتاب أدب لما حوى من نصوص منتخبة من روائع الشعر العربي، وتراجم الشعراء، وملح طريفة، لا تخلومن فائدة للمبتدئين، وتذكرة للخريجين."

وقد تم طبع كتاب (المتوسط الكافي) الطبعة الأولى بمطبعة أحمد يوشمال بقسنطينة سنة 1947م، وبه بدأت معركة أديبنا الأحمدي مع المطابع وأصحابها..ولنستمع إليه يروي بقلمه قصة طبع الكتاب في الأربعينيات، ومعاناته مع السلطات الإستعمارية حينها فيقول:" لم تكن السلطات الفرنسية تسمح للمواطنين بطبع أي كتاب إلا بصعوبة بالغة، وإجراءات معقدة، ورقابة مشددة، يراعى فيها انتماء المؤلف ومادة الكتاب، فبعد أن أنهيت كتاب (المتوسط الكافي) وهوباكورة إنتاجي اتصلت بالسيد أحمد بوشمال في قسنطينة الذي صحبني إلى قلم الرقابة وكان يشرف عليه (الملازم دو) فأودعت عنده الكتاب، وفي هذه الفترة وقعت أحداث 8ماي 1945م فلم أعد إلى المكتب المذكور إلا بعد ثمانية أشهر، فوجدت المكتب مغلقا والملازم (دو) انتقل إلى سوريا، وأثاث المكتب وملفاته نقلت إلى العاصمة، فعدت حزينا كاسف البال و لم أدر ما أصنع، وبدا لي أن أقابل رئيس البلدية فشرحت له مشكلتي فتفهمها وأعطاني كتاب توصية إلى والي قسنطينة الذي استقبلني بحفاوة بالغة وأرسل معي أحد مرافقيه إلى القائد العسكري وكان برتبة جنرال،وبعد أن عرف المشكلة قال لي: إن الكتاب بمكتب الرقابة بالعاصمة ولا يستبعد أن يكون في مستودع للمهملات، وأنصحك بأن تعيد

الوطنية التي أشعلوها.

وبعد فالمتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي بقدر ما هوكتاب علم لمن يريد دراسة هذا الفن هوأيضا مرجع لمن يريد الاستزادة منه، واستقصاء خصائصه، والإلمام بخفاياه ودقائقه، وكتاب أدب لما حوى من نصوص منتخبة من روائع الشعر العربي، وتراجم الشعراء، وملح طريفة، لا تخلومن فائدة للمبتدئين، وتذكرة للخريجين."

وقد تم طبع كتاب (المتوسط الكافي) الطبعة الأولى بمطبعة أحمد يوشمال بقسنطينة سنة 1947م، وبه بدأت معركة أديبنا الأحمدي مع المطابع وأصحابها..ولنستمع إليه يروي بقلمه قصة طبع الكتاب في الأربعينيات، ومعاناته مع السلطات الإستعمارية حينها فيقول:" لم تكن السلطات الفرنسية تسمح للمواطنين بطبع أي كتاب إلا بصعوبة بالغة، وإجراءات معقدة، ورقابة مشددة، يراعى فيها انتماء المؤلف ومادة الكتاب، فبعد أن أنهيت كتاب (المتوسط الكافي) وهوباكورة إنتاجي اتصلت بالسيد أحمد بوشمال في قسنطينة الذي صحبني إلى قلم الرقابة وكان يشرف عليه (الملازم دو) فأودعت عنده الكتاب، وفي هذه الفترة وقعت أحداث 8ماي 1945م فلم أعد إلى المكتب المذكور إلا بعد ثمانية أشهر، فوجدت المكتب مغلقا والملازم (دو) انتقل إلى سوريا، وأثاث المكتب وملفاته نقلت إلى العاصمة، فعدت حزينا كاسف البال و لم أدر ما أصنع، وبدا لي أن أقابل رئيس البلدية فشرحت له مشكلتي فتفهمها وأعطاني كتاب توصية إلى والي قسنطينة الذي استقبلني بحفاوة بالغة وأرسل معي أحد مرافقيه إلى القائد العسكري وكان برتبة جنرال،وبعد أن عرف المشكلة قال لي: إن الكتاب بمكتب الرقابة بالعاصمة ولا يستبعد أن يكون في مستودع للمهملات، وأنصحك بأن تعيد

كتابة ما ضاع منك. وبالفعل فقد ضاع الكتاب الأول، و لم يكن في ذلك الوقت راقـــنة ولا ناســـخة ولا حاسوب، وفي النهاية رفض طبع الكتاب لاحتوائه على أشعار وطنية تحريضية كما قيل لي آنذاك، فاضـــطررت إلى تجديد كتابته مرة أخرى وطـــبعه ســـنة 1947م، بعد أن كان من المفروض أن يتم طبعه في سنة 1945م.".

أمـــا الطبعة الثانية فكانت بدار العلم للملايين ـــ بيروت ـــ 1969م، والطبعة الثالـــثة بالمؤسســـة الوطنية للكتاب سنة 1981م، والطـــبعة الـــرابعة بدار الحكمة للطباعة والنشر ـــالجزائر ـــسنة1994م.

ولما صدرت الطبعة الرابعة وتولينا بيع ألـــف (1000) ألـــف نسخة من الكتاب بمدينة بوسعادة، أنشد الأستاذ حمزة لعرابي أبـــياتا في تقريظ الكتاب، يرغب القراء لشـــرائه، ويحفزهم على اقتنائه يقول فيها على لسان الكتاب:

أنا المتوسط الكافي حزوني
ففي طياتي من شتى الفنون
فذكري شائع في كل مصر
ونـــجمي ســـاطع عبرالقرون
وزنت الشعر أيضا والقوافي
فأضحت كالنواصي على العيون

ولأهمـــية الكتاب ومعرفة نفعه قررت وزارة التربية تدريسه للثانويات المعربة في أفريل سنة 1968م، ووضع كمقرر أيضا بمعاهد الأزهر الشريف، والمعاهد الدينية في بلاد الشام.

2 ـــ كـــتاب (المحادثـــة العربـــية للمدارس الجزائرية) :

اقتـــنع الأحمـــدي مبكرا أن المدرسة الجزائـــرية بعد الاستقلال في حاجة ماسة إلى كتاب مدرسي عصري يستمد مادته من الحياة اليومية ومن البيئة، وبأن التلميذ الجزائري يعجز عن تسمية أبسط الأشياء مما يمارسه يوميا ويستعمله صباح مساء،

وبعبارة أوضح تبين له أن المعلم والتلميذ لا يعرفان اللغة الأساس، وأن مستحدثات الحضارة في البيت وفي الشارع وفي المدرسة، وعلى مستوى القطر تسمى باللغة الفرنسية (فالسيارة طونوبيل، والدراجة بسيكليت، والجرار تراكتور، وحجرة الاستقبال صالون، والمنفضة صوندري، والكظيمة تارموز..وهلم جرا).

أراد الأحمدي أن يرأب الصدع، ويقوم ما اعوج من الألسنة، ويصلح ما فسد من فصيح العربية في المجتمع الجزائري والمدرسة الجزائرية فألف كتاب (المحادثة العربية..)، وظف فيه بطريقة عصرية ما يسميه مجمع اللغة العربية بألفاظ الحضارة، مما يحتاج إليه كل عربي في لغته اليومية.ألفه قبل تعريب التعليم في الجزائر تعريبا كاملا، وجعله للصفوف الوسطى من التعليم الإبتدائي.

وعن أهداف تأليف هذا الكتاب المدرسي النفيس، ومنهجه فيه، وكيف انتقى نصوصه ومحفوظاته بما يلائم عقول الناشئة، سالكا بهم طريق التدرج والتبسط، انطلاقا من تجربته الخاصة، وطول عهده بالتدريس وفنونه، يقول الأحمدي في مقدمته:

" الحمد لله رب العرش العظيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم، وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل العميم.

وبعد. فإلى حضرات الزملاء مدرسي اللغة العربية، ثم إلى أبنائنا تلاميذ الأقسام الإبتدائية: أقدم هذا العمل المتواضع " كتاب المحادثة العربية " فعساهم أن يجدوا فيه ما يرضيهم، ويوافق ميولهم، ويوفر لهم جزءا من الوقت ـــ في تهيئة درس المحادثة ـــ هم في أشد الحاجة إليه.

ولقد سلكت في إعداد هذا الكتيب طريق التدرج والتبسط حتى لا يحس التلميذ بصعوبة في طريقه، أويشعر بانتقال

مفاجئ من سهل إلى حزن، وجعات الأسئلة الثمانية في التمرين الأول من كل درس مأخوذ من صلب الدرس المحصور بين الخطوط الثلاثة.وماعدا ذلك من التمارين فقد جعلته موزعا بين المعلم والتلميذ: فما كان فوق مستوى التلميذ وكلت فيه الإجابة إلى المعلم، وما كان في متناول التلميذ أجاب عنه التلميذ.

أما ما يرجع إلى المحفوظات فقد انتقيت ما أمكنني انتقاؤه من المحفوظات المدرسية حسب اجتهادي، وتجربتي الخاصة.وحرصت كل الحرص على أن تكون الأسئلة مناسبة للأجوبة لكي تكون الإجابة عنها إجابة شعرية من دون أن يحدث إخلال في الوزن. وشرحت مفرداته اللغوية، و لم أغفله من ذكر أمثال عربية ضربت بما جاء فيه من أسماء أناس، وحيوانات، وطيور، ثم بفروق في أصوات الحيوانات، والجمادات، وفي المشي وغير ذلك..

بهذا العمل المتواضع عسى أن أكون قد شاركت فيما تحتاج إليه المدرسة العربية الجزائرية وأن يكون العمل حافزا لحضرات المدرسين لكي يقوموا بسد الفراغ الذي تشكوا منه المدرسة الجزائرية والتي هي في أشد الحاجة إليه. والله نسأل أن يوفقنا جميعا للسداد، ويهدينا سبيل الرشاد.".

وقد طبع الكتاب في لبنان بدار الكتاب اللبناني ــ بيروت ــ ثلاث طبعات: في سنة 1963م طبعتان، وفي سنة 1964م طبعة ثالثة منقحة ومزيدة، وبيع منه في الجزائر (17000) نسخة، وقد طبع الكتاب مرات دون علم المؤلف وبيعت الآلاف من النسخ في البلاد الإفريقية بعدما غير عنوان الكتاب إلى (المحادثة العربية للمدارس الإفريقية)!!.

3 ــ كتاب (شرح الأسئلة الرمضانية):

وهوشرح للأسئلة التي كانت تلقى في

شهر رمضان المعظم من طرف وزارة الشؤون الدينية، وكانت تتبارى فيها أقلام القراء،والمحظوظ من يفوز بالجائزة.فشارك أديبنا الأحمدي ثلاث سنوات متتالية في هذه المسابقات (1388 هـ ـ 1390هـ /1968م ـ 1970 م)،وكان يشرف عليها الشيخ أحمد حماني ـ رئيس المجلس الإسلامي الأعلى ـ رحمه الله ـ الذي أرادها أسئلة لها أهمية علمية وثقافية حقيقية، تثير همم العلماء، وتشحذ قرائح الباحثين.

وهذه الأسئلة تدور حول سبعة محاور كبرى: الدين:من قرآن وحديث وأصول وفقه،وعلم كلام، والتاريخ الإسلامي قديمه وحديثه، والجغرافيا،واللغة،والأدب العربي ورجاله، والشؤون القومية المعاصرة.

فاز الأحمدي في هذه المسابقات بالجائزة الأولى ونشر أجوبته في كتاب سماه (شرح الأسئلة الرمضانية)وذلك بطلب من الشيخ أحمد حماني واضع الأسئلة.وعن سبب مشاركته في هذه المسابقات يقول الأحمدي:" وأنا إذ أجيب عن هذه الأسئلة رغم تقدم سني إنما أستجيب لعاطفة رافقتني طيلة حياتي وهي حبي للمنافسات الثقافية، ورغبتي في تذليل صعوبات البحث العلمي المتقمص للألغاز.كما أستجيب لرابطة قديمة متينة وصلتني بهيئة المجلس الإسلامي الأعلى، ووزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية...ولقد رميت كذلك إلى تشجيع الناشئة على الخوض في هذه الميادين العلمية التي تعود على الجميع بالخير العميم، فإن وفقت إلى غايتي فبفضل من الله وإن أخطأت المرمى فلي أجر الإجتهاد".[1]

نشر الكتاب من طرف المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1982م.

([1]) ـ شرح الأسئلة الرمضانية:ص16،17

4 ــ معجم الأفعال المتعدية بحرف:

لما كانت الأفعال المتعدية بالحرف لا ضابط يضبطها، ولا قاعدة تحدد الحرف الذي يتعدى به كل منها، وكان الكشف عنها يستلزم العودة إلى أكثر من معجم من معاجم اللغة، وكان الغوص في خضم زاخر من الحالات والأوجه يتطلب مراجعة كل مادة وما تفرع عنها:رأى الأديب الأحمدي أن يجمع بعض الأفعال المتعدية بحروف الجر المختلفة، ويبين اختلاف الحروف لاختلاف معنى الفعل الواحد:كرغب فيه، ورغب عنه، وصبر عليه، وصبر عنه...إلى غير ذلك.

وعن المصادر التي كانت التكأة والأساس في جمع مادة هذا المعجم وجعلها ميسرة للناشئة والحاذقة على السواء يقول الأحمدي:" وقد أخذت هذه الأفعال المتعدية بحروف الجر من معاجم موثوق بصحتها، كمختار الصحاح للرازي، وأساس البلاغة للزمخشري، والمصباح المنير للفيومي، وتهذيب الصحاح للزنجاني [1]، ومعجم متن اللغة لأحمد رضا..وغيرها"[2]، وفي أمانة وتواضع جم يقول:" وللأمانة العلمية أنبه إلى أنه ليس لي من هذا العمل المتواضع إلا جمع ما تفرق في تلك المعاجم ليكون في كتاب واحد بدلا من كتب مختلفة، وليسهل للباحث مراجعته ". [3]

طبع المعجم ثلاث طبعات بدار العلم للملايين ــ بيروت ــ وهوالآن تحت الطبعة الرابعة، وقد اطلعت على رسالة كتبها عثمان بهيج صاحب دارالعلم للملايين للمؤلف بتاريخ09ــ أكتوبر ــ 1979م من ضمن ما جاء فيها قوله:"...وزعنا كتابكم (معجم الأفعال

([1]) ــ تحقيق:عبد السلام هارون، وأحمد عبد الغفور عطار

([2]) ــ من مقدمة:معجم الأفعال..ص05

([3]) ــ معجم الأفعال :ص06

المتعدية بحرف)على مكتبات العالم العربي، وهويلقى ترحيبا من العلماء والباحثين، ونسأل دائما عن مؤلف الكتاب ومؤلفاته المطبوعة ".

5 ــ كتاب (كشف النقاب عن تمارين اللباب):

شغف الشيخ الأحمدي بعلم المواريث بأقسامه الثلاثة (الحساب والفرائض والوصايا) إلى أقصى حدود الشغف مذ كان طالبا يافعا بالزيتونة، فجد في تحصيله إلى أن ملك ناصيته، وعده مواطنوه من كبار المتخصصين فيه، وقد وكل إليه المجلس الإسلامي الأعلى مراجعة "كتاب الفرائض للميلي "وهوصهر مبارك الميلي.

وقد انبرى الأحمدي لحل تمارين كتاب (**لباب الفرائض**) للشيخ محمد الصادق الشطي عندما ظهر لأول مرة، وراح يدرسه لطلابه في سنوات تدريسه الأولى، وكانت ثمرة جهوده أن صنف في هذا الفن كتابا جعله بعنوان (كشف النقاب عن تمارين اللباب) وأرسله لمؤلف الأصل الشيخ الشطي يستشيره في نشره، ولما اطلع عليه أذن له في نشره. وزين جيده بالكلمة التالية:

" بسم الله الرحمن الرحيم.الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى أله وصحبه ومن والاه وبعد: فقد تشرفت بمطالعة كتاب كشف النقاب عن تمارين اللباب بعد عرضه علي من مؤلفه العلامة الجليل الفرضي النبيل الأجل الشيخ سيدي موسى بن الملياني الأحمدي المدرس بمدرسة التهذيب، وبعد أن سرحت النظر في قوادمه وخوافيه ألفيته حلا صحيحا، ولطلاب الفن رياضا مريحا، فاق أصله في الإيضاح، وزاد بما فيه مراح الأرواح، يشهد بفضل من أحكم صنعه وأوقد نبراسه، يصلح أن يكون مرجعا للمعلم فضلا عن المتعلم جزى الله مؤلفه الفاضل

جـــزاء موفـــورا، وجعل سعيه في ذلك مشـــكورا.حرره في 02صفر الخير1359 هـــ الفقير إلى ربه تعالى محمد الصادق الشـــي المدرس بجامع الزيتونة بحاضرة تونس ".

ثم عرضه ـــ أي الشيخ محمد الصادق الشطي ـــ على الشيخ صالح المالقي شيخ الجامع الأعظم وفروعه سابقا، والمكلف بمشـــيخة الإسلام حينذاك فحلاه بالكلمة التالية:

" الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام عـــلى مـــن فاق العالمين رفعة وكمالا، صلاة وسلاما يعمان صحبا وآلا.وبعد فقد اطلعنا على التأليف الموسوم بكشف الـــنقاب عن تمارين اللباب الذي دبجه يراع العالم الفاضل الشيخ السيد موسى بـــن الملـــياني المدرس بمدرسة التهذيب فألفيـــناه تأليفا قيما، يعين المعلم ويهدي المتعـــلم، شـــكر الله لمؤلفه ولصاحب الأصل العالم الجليل ابننا الروحي الذي قرب بتأليفه شوارد هذا العلم ومسائله الصـــعاب، فكان بذلك حريا أن يوسم تألـــيفه من بين كتب الفن باللباب.وقد زانه اليوم ما كشف من نقابه، بما سهل تطبـــيق تماريـــنه على طلابه، جزى الله الجميع أحسن الجزاء، وجعلهم قدوة لمن اقتدى. تحريرا في 14صفر الخير من عام 1359هـــ. شيخ الجامع الأعظم وفروعه سابقا المكلف بمشيخة الإسلام المالكية: صالح المالقي".

يحـــتوي الكـــتاب على أربعة وثمانين تمريـــنا، ومـــا يقرب من مائتين وإحدى عشـــرة مســـألة: بـــين الفقه والحساب والعمـــل.وعـــن سبب تأليفه لهذا السفر الجليل ومنهجه فيه يقول الشيخ الأحمدي:

" وقصـــدت بحل هذه التمارين توفير الوقت على الطالب وتخفيف عناء العمل عـــنه، وسلكت في حلها ما أمكنني من تسهيل وتيسير، وحاذيت لعباراته عبارات المؤلـــف ليطابق الفرع أصله، وعسى أن

أكـــون قد وفقت إلى ما يرضي الطالب الكريم.."[1].

6 ــ كتاب (طرائف وملح):

ألمعـــت فـــيما ســـبق من حياة أديبنا الأحمـــدي وعـــن شخصيته وشمائله ما انطوت عليه نفسه الرضية من مرح دائم، وتفاؤل متواصل.وذوق مصقول استطاع بـــه أن يغـــوص في أعماق الأدب العربي فيســـتخرج منه كنوزه ودرره، ثم يصيغ ذلـــك كله بأسلوبه، فاجتمعت له طائفة من غرر الأخبار، ورائع القصص، وجميل الطرف والأفاكيه.

نشـــر كـــتاب (طرائف وملح) بدار العلم للملايين في كانون الثاني (يناير) سنة 1989م، ونســـجل هنا ماقالته اللجنة التي كلفـــتها الـــدار للنظر في صلاحيته أدبيا ومادي ـــا حيث قالت:"أصدرت دار العلم للملايين هذا الكتاب لطرافته وجديته في آن واحد،فهويتضمن قصصا وطرائف من الأدب القـــديم والحديـــث، تمتع القارئ وتـــنقل إليه روح الفكاهة وبراعة اللفتة الذكـــية عند العرب، كما يضم حكما ومواقـــف أثـــرت عن الخلفاء الراشدين والصـــحابة الكرام وحكماء العرب تدل على حسن درايتهم بأمور الفقه والقضاء، على تبصرهم وحلمهم في القضايا العامة.

وقـــد جمـــع المؤلف مادة كتابه من أمهـــات المصادر العربية ككتاب الأغاني لأبي الفـــرج، والعقـــد الفريد لابن عبد ربـــــه،والمحاســـــن والمســـــاوئ للبـــيهقي،والاقتضـــاب لابـــن الســـيد البطليوســـــــي، والمســـــــتظرف للأبشـــيهي...وغيرها من المراجع الحديثة لكبار الأدباء والمفكرين العرب.[2]

([1]) ــ أنظـــر مقدمة كتاب:كشف النقاب عن ثمارين اللباب.ط1،قسنطينة: دار البعث 1984 م، ص13،14

([2]) ــ سجلت هذه الفقرة في ظهر الكتاب.ط1

وقدم الأديب الأحمدي كتابه الظريف بمقدمة قال فيها:" هذا الكتاب غيض من فيض تلك القصص العربية التي تروي نادرة [1]، أوتسوق فكاهة[2]، أوتحكي نكتة [3]، أو

تتحدث عن ملحة أوطرفة[4] من طرائف المجتمع العربي عبر عصوره المختلفة.

قصدت من جمعها الترويح عن النفس، والتخفيف عن الذهن والنأي به قليلا عن أعباء الحياة، وعناء العمل، فالذهن يكل من العمل المتواصل، وتسأم النفس من الجد المستمر.

لذلك كانت الراحة والترويح من ألزم الضرورات للإنسان لاسترجاع حيويته واستعادة نشاطه، وتجديد استعداده لما يستقبل من أعمال، وإذا وجدنا في النوم قسطا كبيرا من الراحة فإن الترويح عن النفس لا يمكن أن يوجد إلا في ما يشيع الابتسامة على الوجوه، ويبعث الفرح والابتهاج في القلوب، ولئن كانت الوسائل لذلك كثيرة فإن النكتة والفكاهة والطرفة من أهمها، وتكمن أهميتها في تأثيرها البالغ لدى المجتمعات فهي كثيرا ما تتجاوز الترويح عن النفس إلى غايات بعيدة، ومواضيع جادة تتناول مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع وكل ما كان يستهدفه الأولون من استنطاقهم للحيوانات...".[5]

جمع المؤلف في هذا الكتاب 374 طرفة

،بيروت: دار العلم للملايين.1989م

([1]) ــ النادرة: مؤنث النادر، غرابة الكلمة ــ ما شذ عنها

([2]) ــ الفكاهة: المزاح الذي تنبسط النفس به

([3]) ــ النكتة: الجملة اللطيفة التي تؤثر في النفس انبساطا

([4]) ــ الملحة: الكلام العذب المستملح

([5]) ــ طرائف وملح: ص05.

وملحة وحكمة نبيلة من التراث القديم ومن التراث الحديث.

والكتاب الآن تحت طبعته الثانية بدار العلم للملايين في بيروت،وقد حاول الشيخ ــ رحمه الله ــ أن يطبع الكتاب في الجزائر ولكنه لم يفلح..! وقد ذكر لي الشيخ في هذا الصدد قال:" قلت للسيد المدير العام أرجوكم شاكرا أن تستوردوا كتاب (طرائف وملح) مع الكتب التي تستوردونها من الخارج فقال: الكتب الجزائرية المطبوعة في الخارج ممنوع استيرادها.قلت: هل تستوردون كتب الأجانب؟ قال؟: نعم، قلت: اجعلوا الجزائريين أجانب واستوردوا إنتاجهم الفكري.قال: لا يمكن، هكذا صدر القانون ولست أنا المسؤول..! !".

7 ــ كتاب الألغاز (مخطوط):

سار أديبنا الأحمدي على نهج الأدباء الأوائل في وضع الألغاز والمعميات، وقد اشتمل كتاب (الألغاز)على أسماء بلدان ومواقع وجمادات وحيوانات ونباتات وطيور وفواكه وزهور وحشرات، ويتناول الفقه والفرائض، والعروض والحساب، وأسماء رجال ونساء لهم ذكر في التاريخ، وأيام من أيام العرب ووقائعهم وغير ذلك من الأسماء والمعميات ويحتوي الكتاب على ما يقرب من (400) بيت من الشعر عدا الألغاز النثرية.

8 قصص للأطفال:

ــ القصص المطبوعة:

1 ــ بقرة اليتامى ــ نفذت طبعتها الأولى

2 ــ سالم وسليم ــ نفذت طبعتها الأولى

3 ــ الأقرع بوكريشة نفذت طبعتها الأولى

4 ــ العكرك ــ نفذت طبعتها الأولى

5 ــ اللص والعروس ــ نفذت طبعتها الأولى

6 ــ الحنش وابن السلطان تحت الطبع

7 ــ ودعة أخت سبعة

8 ــ عليه وكدر

نشـــرت هذه الثلاثية بمطبعة (رجبل بيبل) بباريس

9 ــ الخطاب وفتية الجبل

ــ قصص مخطوطة:(تنتظر الطبع)

10 ــ محمـــد بن السلطان ــ 11 ــ سعد وسعيد ــ 12 ــ البغلة الحمراء ــ 13 ــ الأخ المحتال.

9 ــ الشعر عند الأحمدي:

نظم الأديب الأحمدي أغلب شعره في ديوانـــيه المخطوطـــين:ديـــوان "وطنيات"وديوان "الشعر الملحون".

وأود أن أقـــدم للقـــارئ العزيز نبذة موجزة عن كل ديوان.

ــ ديوان وطنيات:(مخطوط)

لقد واكب الأحمدي جميع الحركات السياسية والإصلاحية وناقش موضوعات كـــثيرة كانت تموج بها الساحة الجزائرية مـــن بداية هذا القرن إلى نهايته، فتحدث عـــن الفرنسية والإدماج ورفضهما بقوة، كما رفض الظلم والسيطرة والقهر.ودعا إلى تعليم المرأة وتثقيفها، كما قرع على الطرقـــية وأوكارهـــا الـــتي كانت عونا للاســـتعمار وســـندا.كما أشاد بكفاح الشـــعب وانتفاضـــه ضـــد المســـتعمر الدخـــيل.كما نالت الثورة الجزائرية حظا وافـــرا في شعره، وعالج بعد الاستقلال قضايا اجتماعية كقضية الشباب وضرورة الاهـــتمام بتربيته وربطه بتراثه وأصالته، وتنشـــئته على فضائل الأخلاق ومحامد الخصال بعيدا عن التعلق بأهداب الحضارة الغربية المزيفة.

كمـــا أن مضـــامين شعره دارت في فلكهـــا قضـــايا الأمة الإسلامية ووطنه الكبير كقضية فلسطين وقضية العراق، مما يـــنم عـــلى قومية صلبة وانتماء أصيل. وهويرى أن أدواء الأمة الإسلامية واحدة وعلـــلها واحـــدة، والمؤامـــرة علـــيها واحـــدة..وأعداؤها الكثر متفاهمون على الغاية المنشودة وهي طمس الهوية، ومسخ التاريخ، ونسف القيم والمبادئ، والازدراء بأمم الشرق..

وقد نفخ في طوايا نفوس تلاميذه هذه المعاني، وأوقد جذوتها في أفئدتهم مما جعل تلميذه الشاعر عبد الكريم العقون في قصيدته " بني العرب هذا يومكم" ــ التي يربط فيها بين الجزائر والمشرق العربي، ويتفاءل بأن الغيوم ستنقشع لا محالة، ليلتحق بالشرق وركب العروبة ــ يقول:

سينقشع الغيم المخيم عن شعبي
فيغدوضحوكا مشرق الأفق كالغرب
ويحظى بآمال عذاب جميلة
وكم جنى عذب لدى الأمل العذب
وما نحن إلا من سلالة يعرب
وعبد مناف جدنا وبنوكعب
فما الشرق إلا منبع النور والهدى
ومعقل دين الله في الموقف الصعب
ألا فاقتفوا آثارهم وتحلفوا
تحالفهم عيشوا جميعا على الرحب

ويتحدث الأحمدي في مقدمة ديوانه " وطنيات" على أنه امتداد حي للمدرسة العربية الشعرية الأصيلة، مدرسة العمود ذي القافية الموحدة،والبحر الواحد، واللفظ الجزل،والتعبير الواضح،والتركيب القوي، والموسيقى الآسرة.فيقول:" نظمت أولى قصائدي سنة 1931م أريد بها المساهمة في إصلاح بني وطني، كنت عضوا في جمعية لعلماء أدين بمبادئها، وأدافع عن أهدافها، وأعلم بمختلف مدارسها.

وظهرت في الثلاثينيات حركات سياسية انطلقت من مبادئ مختلفة، ونهجت مسالك متباينة. وكل حزب بما لديهم فرحون. فكان على المصلحين أن يدافعوا عن المبادئ المقدسة: عن الوطن، والدين، واللغة ويحموا الشعب الجزائري من الذوبان في غيره.

وإذا كانت الثورة هي ترجمان فكر المفكرين، وأناشيد الشعراء والمصلحين،فقد شدا الشاعر الأحمدي في ديوانه " وطنيات " ألحان الحب للوطن، متجاوبة موسيقى شعره مع دقات قلبه.. يدعوا الشعب الجزائري ليقف صفا مع

مشـــروع المصلح العظيم عبد الحميد بن بـــاديس، ويـــؤازر مشروعه الإصلاحي المتمثل في معاهد جمعية العلماء ومدارسها الحـــرة التي كان يرأس الأحمدي واحدة مـــنها.فـــيقول في أول قصيدة استهل بها ديوانه:[1]

ألا أيها الشعب هل من مزيد
تقدمها اليوم للمعهد
وهل أنت ياشعب حامي الحمى
ومنجد جندك بالعسجد
وهادي بنيك سبيل الحياة
وقائد جيلك للرشد

لقد نظر الشاعر الأحمدي إلى بلاده فلم ير فيها إلا واحة قد صوحت، أقام الأجنبي فوق ربوعها كما يقوم البوم على أطلال العمائر، وتعرق لحمها فلم يبق فيها سوى العظم والجلد..فالتفت إلى الشباب يدعوه إلى النهوض والثبات، ويوقظ فيه الحس الوطني، والشعور القومي الذي نضب معينه،وغاض نبعه.فالشباب هم جند الحق، وبناة المستقبل، ومعاقد الأمل الباسم.وفي قصيدة إلى الشباب الجزئري نظمها سنة 1948م جمع فيها بين الروعة الفنية والروح البطولية تذكرنا بشعر الفتوح الإسلامية الأولى في حروب الروم على لسان أبي تمام والبحتري وأبي فراس والمتنبي، التي تتجاوب موسيقى أبياتها مع خطوات الجندي في الميدان وتتماشى مع وثباته إلى المعركة..فيقول في أبيات منها:

شباب الجزائر كن ذا ثبات
فأنت المعد لكسب الحياة
وأنت الذي بك نبل المنى
وأنت الذى بك لم الشتات
وأنت الذي عشت تحمي الحمى
وتدفع عنه سهام العداة
فكن للجزائر باني علاها
وحامي حماها من الموبقات

ولا يقـــف الأحمدي عند وطنية ضيقة تعبر عن قضايا الشعب الجزائري فقط، بل واكبت شاعريته النضال العربي في مشرق

---

(1) ـــ نشـــرها " البصائر" في الحادي عشر ـــ فبراير 1951م.

العـــروبة وفاضـــت قريحته بقصائد غر، ومقاطع خالدة تكشف عن إيمان صليب في حق أبناء فلسطين في استرداد وطنهم الســـليب."والحقيقة أن قضية فلسطين في شعر الجزائريين لم تحتل مكان الصدارة في وقت النكبة عام 1948م فحسب، بل من وقـــت مـــبكر جدا، منذ بدأت تتضح خـــيوالمؤامرة الصهيونية الاستعمارية على هذا الجزء من الوطن العربي ".[1]

وقـــد كتب قصيدة بعنوان " فلسطين تدعوكـــم للجهاد " يعتبر فيها الجهاد في فلسطين معركة مقدسة، ومشاركة الجميع فـــيها أمـــر لازب على الجميع، وأن من يخونها أويتأخر عنها فهومارق جـــاحد.[2]جاءت أشبه بالنشيد الذي يمكن تلحينه.

بـــل إن الأحمدي وهوفي التسعين من عمره تحركه قضية الشعب العراقي ويظل جـــرح الإبـــاء الراعف يترف في قلبه، ويعلوصـــوته الجهير مع صيحات كثيرة تعالـــت من مختلف بلاد الإسلام، تطالب المغيريـــن على الديار أن يرحلوا، وتطلب أن تـــبقى قضـــية العراق والكويت بين شـــعبين تربطهما روابط الأخوة واللغة، والديـــن،والـــتراث.فيقول في قصيدة لم يكتـــب ـــ عـــلى غير عادته ـــ تاريخ كتابـــتها، وجدها في أضابيره بعنوان " لا ناقة لكم فيها ولا جمل " جاء في مطلعها:

صدام فاصدم طغاة البغي يا بطل
يا من عليه جحيم البغي ينهطل
ظن الطغاة بأن العرب عاجزة
عن النضال وما فى جيلهم بسل
إن العراق شجى يدمي حلوقهم
يا من أتيتم عرين الأسد فانتقلوا
إن الكويت لمن يحميه متئدا

---

(1) ـــ عـــبد الله ركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائـــري الحديـــث،تونس، ليبيا: الدار العربية ـــللكتاب،1977م، ص54

(2) ـــ عبد الله ركيبي، قضايا عربية ... مرجع سابق، ص54.

بالجزائر أن يعول على الأدب الفصيح وحده، والشعر العمودي وحده، فقد شاع الشعر الملحون في الجزائر، وأصبح له شعراء مبرزون، وأعلام معروفون، استطاعوا أن يواكبوا الحياة على اختلاف ألوانها، فيرسموا لها صورا دقيقة صادقة واضحة حية.

إن هذا التراث لا يقل أهمية وجمالا عن تراثنا الأدبي الفصيح، فكلاهما صور من حياتنا الاجتماعية، وعبر عن عواطفنا الملتعجة، ورسم أمالنا الخافقة، وسجل آلامنا المبرحة.

وشاعرنا الأحمدي طرق أبواب الشعر المختلفة من تقليدية ومحدثة، وهوفي كل ذلك مهتاج النفس، وافر الموسيقى، خصب الخيال، رائع البيان،همه أن يحقق هدف الإصلاح والتربية، ويحدث التغيير في أمة اصطلحت عليها الآفات: من ظلم وقهر وجهل.

وعن الظروف التي بدأ فيها الأحمدي يقرض الملحون، وعن أغراضه فيه، والدوافع التي دفعته إلى نظمه يقول[1]:" لقد ابتدأت نظم الشعر الملحون الشعبي سنة 1933م، وفي هذه الحقبة التي مرت كانت حركة الإصلاح في جزر ومد، وجمعية العلماء ومن يظاهرها من أفراد الشعب في صراع مع الطرقية من جهة، ومع السلط الاستعمارية من جهة أخرى.

فالغالبية من أفراد الشعب خضعت لعملية تخدير تقودها الطرقية بإيعاز من السلط الاستعمارية ولاسيما الذين يأخذون عنهم العهد، أوالميثاق كما يسمونه، وينشرون الدعاية الكاذبة بين أفراده: بأن تعليم البنت حرام، والخمرة تحور عسلا لشيخ الطريقة، وجمعية العلماء أتت بما لم يأت به غيرها من العلماء، ومشائخ الطرق، وما أولئك بأعلم من فلان وفلان وفلان..

---

(1) ــ من مقدمة:ديوان الملحون

وهكـــذا راحوا يصرفون البسطاء من أفراد الشعب عن الأخذ بأسباب التقدم، والـــتروع إلى التعلـــيم، ويحذرونهم من الإصـــغاء إلى مـــا تدعـــوا إلـــيه جمعية العـــلماء...وكثرت الخرافات، واشتدت وطأة الدجل حتى كان أحد الطرقيين يأمر أحد مريديه بإمساك طرف برنسه: برنس الشيخ الذي يلبسه، ويمر المريدون من تحته واحدا بعد واحد، ومن مر تحت الصراط اليوم لن يمر عليه يوم القيامة غدا، ونسي الشيخ أن المرور فوق الصراط لا تحته.!

وإلى هـــذا يشير شاعرهم في إحدى قصائده الشعبية:

ثم يحضـــر...عـــيـــان يمسك بيـــده الميزان

حفظت بيت الميزان، وخانتني الذاكرة في التمســـك ببيـــت الصراط. و لم يكن الكثير من أفراد الشعب في مستوى يخوله المناعة من دجل الدجالين.

يضاف إلى ذلك ويلات الحرب العالمية الثانـــية، وتكالب الناس على المارش نوار ـــ Le Marché Noire وحوادث ثمانية ماي 1945م، وجرائم المستعمر إبان حرب التحرير.

في هذه الأزمات، وفي تلك التقلبات كان ما نظمت من الشعر الملحون، وكان في أغـــراض شتى: وطنية، دينية، نقدية، توجيهـــية، حماســـية، تنشيطية، فكاهية، مصوغا حسب الظروف التي أنشيء فيها، والدوافـــع التي دعت إليه: من بعث روح الحماس في نفوس المواطنين، وتنبيههم من الغفلة والسبات، وأن لا ينساقوا وراء ما يضـــر ولا ينفع، ولفت انتباههم إلى ما يقاسيه الشعب من ظلم المستعمر الغشوم، وكـــيف أنه أخوالشيطان في إشعال نار الفتنة، وقتله لكل ما فيه حياة لمن ابتلاهم الله بشروره، وحث المواطنين على طلب العلم، والأخذ بأسباب الحياة..إلى آخر ما اشتملت عليه تلك القصائد.

كتبـــته بلغـــة دارجـــة يفهمها كل

المواطنين: من تعلم ومن لم يتعلم،لأنها لغة التخاطب اليومية بيننا في كل ما نريد التعبير عنه.و لم أكتف بما نظمته من الشعر الفصيح وإن كان مضمونهما واحدا: لأن الفصيح يخص طبقة خاصة، بخلاف الملحون فإنه يعم جميع الطبقات. فاللغة الدارجة أشمل وأسهل من الفصحى التي لا نستطيع النطق بها سالمة، مفهومة إلابتعلمها، وفهمنا للدارجة أعمق: لأننا نفهم منها حسب النطق والحركة التي نأتي بها عند التكلم ما لانفهمه من الكلمة المكتوبة...".

– رأي في الشعر الحر:

منذ أواخر القرن الماضي ومع مطلع القرن العشرين تعالت صيحات التجديد في ميدان الأدب تدعوا إلى الهجوم على عمود الشعر العربي التقليدي،والثورة على عروض الخليل. وقد كانت في البداية مركزة على مضمون الشعر وبعض الأشياء الشكلية الطفيفة، غير أنها سرعان ما تحولت إلى القالب الموسيقي فظهر الشعر المرسل الذي لا يتقيد بالقافية، ثم الجمع في القصيدة الواحدة بين عدة أبحر كما هوالحال في أغلب المسرحيات الشعرية، وأخيرا انتهى الأمر بظهور الشعر الحر.

ونحن نعرف أن البيت العربي التقليدي " يتكون من وحدتين موسيقيتين إحداهما تكرار للأخرى، أي أنها تساويها زمنيا في حركاتها وسكناتها وإن اختلفت ثانيتهما عن الأولى بتوقيع خاص في نهايتها هوما يسمى بالقافية ".[1]

أما الشعر الحر فهوخال من وحدة النغم الموسيقي وكذلك من موسيقى القافية، مما يجعله أقرب إلى النثر الفني منه إلى الشعر.وقد كان العقاد ــ رحمه الله ــ يرأس لجنة الشعر في المجلس الأعلى للآداب والفنون وعندما تصله قصائد من

([1]) ــ عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، القاهرة: دار المعارف، 1963م،ص77

هذا النوع من الشعر لتصحيحها ونشرها يكتب على ظرف الديوان عبارته الجارحة :"تحول إلى لجنة النثر للاختصاص..!".

لقد آثر الأحمدي أن يحمل نفسه على الصرامة الفنية في قالب القصيدة، وذلك بحكم تكوينه التراثي العميق، وتذوقه السليم للغة العرب، وشعرها المتين.واعتبر كل بادرة للخروج عنها دليل على ضعف،بل على حركة شعوبية هدامة ينبغي النظر إليها بعين الريب، وكان يطلق على الشعر الحر تهكما: "الشعر العر".

فالموضوعات الشعرية ـــ في نظره ـــ شيء، وجمال القريض شيء آخر. إذ الشعر لا يقتبس جماله من أهدافه النبيلة فحسب إلا بعد أن يتم له حسن السبك، وروعة النسج، وصفاء الديباجة، وهذه لا تتأتى إلا لمن صفت قريحته، ونال حظا وافرا من شعر العرب وقريضها.

ويذكر الأحمدي في كثير من مجالسه أن الشعراء الشباب اليوم يعتقدون أن نبل الموضوعات الشعرية وشرفها يرفع من قيمة الشعر ولوكان رديئا وهم في ذلك واهمون..ويعانون من خواء مزر في دراسة التراث والإلمام به. فكثير منهم عرفوا بعضا من موازين الشعر وقواعد العروض فكان حسبهم من الشعر كله هذه المعرفة البائسة التي انقلبت في رؤوسهم غرورا ذميما، وخيلاء لا يعرف التواضع..!

إن الشعراء الشباب ـــ كما يقول الأحمدي ـــ لا يقرأون من الشعر العربي إلا قدرا ضئيلا لا يقوم ألسنة، ولا يكسب ثروة، ولا يربي ملكة، ولا يطبع ذوقا، ولا يمد القريحة بما تفتقر إليه ساعة النظم من شتى التعابير، وفنون الأساليب، وهوتقصير لا تبرره أسباب وجيهة، اللهم إلا الغفلة والكسل وتراخي الهمة..

والشاعر عند الأحمدي إذا كان فقيرا في ثقافته غير مالك لأدوات العربية: من نحو، وصرف، وعروض..لا يستطيع أن ينهض بثورة في الشعر وإن حاولها، وأرق

في سبيلها عينيه، لأنه مفتقر إلى الأدوات الأولى التي تمكنه من إتقان عمله، وتمهد له سبيله إلى قلوب قرائه.

جاءه مرة أحد الشباب الذين يظنون أنهم يقولون شعرا عندما يرصفون الألفاظ بالإكـــراه من هنا وهناك ويحاول وضعها في أماكـــنها، وتحاول هي الفرار من هذه الأمـــاكن!.. وقـــال للشيخ إني أريد أن أسمعـــك بعضا من شعري فتصحح لي ما قـــد يوجد فيه من أخطاء! وراح الشيخ يشـــنف سمعه، ويحني رأسه، ويقرب أذنه من فم الشاعر، ولكنه سرعان ما امتعض وجهـــه وقطب جبينه عندما سمع الشاب يقول منتشيا في مطلع قصيدته:

جزائر..جزائر تلثمي علما..

جزائـــر تلـــثمي عـــلما وامتشي على أرصفة التاريخ...

فقـــال له بصـــوت حاد:قف.قف.لا تكمل (ياوليدي)،هذا ليس شعرا، ينبغي أن تقـــرأ مـــن دواوين الشعراء الكثير، وتتعـــلم عـــلم العروض حتى تستطيع أن تحسن قرض الشعر وبناء القصيد!.

وهكـــذا ظل الشيخ الأحمدي عندما يقيم بعضا من شعر الشباب (الشعر الحر) ومـــا تضمنته قصائدهم من أمشاج من التصنع والإبهام والتيه والخطأ المبين ـــ مع أنهم قادرون على نظم الرائع الآسر لو أنهم تخلصوا من قيودهم التي قيدوا بها أنفسهم ـــ فإنـــه ينصـــح لهم أن يرتووا من نبع تراثهم، ويحذقوا أدواته، ويستجيبوا للطبع العربي الصرف، حتى يستقيم شعرهم على جادة البيان، ويصدر عن أصالة فنية تنكر التقلـــيد، وتـــنفر مـــنه، وتبرأ من مرض "الرمـــزية " الأوربـــية، ولا تعتمد على الصـــنعة دون الطـــبع، ولا تـــنطلق من كهوف الغموض الداكنة.لأنه إذا ساغ لنا أن نزجي الفراغ بتأليف (البوقالات)! فإنه لا يســـوغ لـــنا بأي حال أن نجري هذه الأحـــاجي في أشرف الفنون وأرقاها في تراثنا القومي كله. و الله الموفق للصواب.